

عموم رسالته وتبليغه الرسالة

الأمر الثالث : عموم رسالته: اختص محمد - صلى الله عليه وسلم - دون الأنبياء بخصائص كثيرة ذكر بعضها في حديث جابر المتفق عليه بقوله: { أُعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة } هو في صحيح البخاري برقم 335 وصحيح مسلم 3/5. وقال - صلى الله عليه وسلم - { بعثت إلى الأسود والأحمر رواه مسلم هو في صحيحه مع شرح النووي 5/5. } وعلى هذا فإن على جميع البشر أن يتبعوه وبطبيعة، فإنهم جميعاً من أمته أمة الدعوة، وقد قال الله - تعالى - { وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } : أي للناس كافة، وقال - تعالى - { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } . وقد وردت الخطابات في القرآن لعموم الناس، قوله - تعالى - { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوْا رَبِّكُمْ } . وقال - تعالى - { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ } . وما جاء به من رب، فهذه النصوص تبين أن جميع البشر مكلفوون باتباع رسالته، ولزمون بطاعته، وقد اشتهر أيضاً أنه - صلى الله عليه وسلم - مبعوث إلى الجن كما بعث إلى الإنس، واستدل لذلك بقوله - تعالى - { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ فَقَرَأَ مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ } .
القرآن قَلَمَ حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَنَّنَا قَلْمَانًا فُصِيَّ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ } إلى قوله: { يَا قَوْمَنَا أَجِبُوكُمْ دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوكُمْ بِهِ } . وقد وكذا قوله - تعالى - { قُلْ أَوْحَيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ تَقْرَئُ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ } . وقد زعم اليهود والنصارى - لعنهم الله - أن رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة بالعرب، وذلك بعد أن اطمأنوا إلى صحة رسالته، وما تأيد به من المعجزات، وما حصل له من الأتباع، فلم يجدوا بدا من التصديق بأنه مرسلاً من رب، ولكن حملهم الكبير وحب المناصب والمكاسب على ترك اتباعه، وقد اعترفوا بأن ما أنزل إليه فهو وحي من الله تعالى؛ لصدقه وصحة رسالته، ومع ذلك لم يتقبلوا ما فيه من الأوامر الموجهة إليهم، كقوله - تعالى - { وَآمِنُوكُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَسْتَرُوا يَا يَةَنِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَلَا تَبَرُّقُونَ وَلَا تَبَسِّسوْنَا الْحَقَّ وَلَا تَمْنَأْنَمْ تَعْلَمُونَ } . ونجوا ذلك من الآيات. الأمر الرابع : تبليغه الرسالة: قال الله - تعالى - { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَنَا } . وهذا تكليف من رب - تعالى - فلا بد من حصوله، مع أن هذه وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - من جملتهم، وقد قال - تعالى - { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } . وقال: { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ } . وقد شهد له صحابته - رضي الله عنهم - بهذا البلاغ والبيان، فيقول أبو ذر - رضي الله عنه - (توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الحموية وهو في مسند أحمد 5/263 وغيره . وروى أحمد وابن ماجه عنه - صلى الله عليه وسلم - قال: { لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك } هو في سنن ابن ماجه برقم 5 ومسند أحمد 4/126. عن العرياض بن سارية رضي الله عنه . وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: { إنه لم يكننبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمنه على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم } هو في صحيح مسلم مع الشرح 12/232 مطولاً . وقد اشتهر أنه - صلى الله عليه وسلم - بدأ بدعاوة أهل بلده وقومه، ثم بدعاوة العرب في أنحاء الجزيرة ثم بمن وراءهم، فكان يرسل الرسول إلى القبائل في البوادي والقرى للدعوة إلى الله وقبول هذه الرسالة، ثم بعث الدعاء إلى اليمن والبحرين وغيرها، ثم بعث كتاباً تتضمن الدعوة إلى هذه الشريعة إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم، فما توفي حتى انتشرت دعوته، واشتهر أمره عند القريب والبعيد { فَمَنْ هَذِي اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَفَّتْ عَلَيْهِ الصَّلَالَةُ } . وهكذا قام صحابته من بعده بالدعوة إلى دينه، وقتال من أبي وأمتنع من قبولها، حتى يدخل في الإسلام أو يعطي الجزية، ويلتزم الذل والصغر، حتى بلغت هذه الدعوة أقطار الأرض في أقصر مدة، كما ذكر في كتب التاريخ، ومع ذلك فإن من كان نائياً في طرف البلاد وقدر أنه لم يسمع بهذه الشريعة أصلاً فإن له حكم أهل الفترات، وهو مع ذلك مكلف بأن يبحث وينقب عن الدين الذي خلق له وما يدين به الناس حوله.